• الفصل الأول •

□□ البلاد الإفريقية وأحوالها في العصور الوسطى

obeikandl.com

obeikandl.com

يتضح من المراجع العربية لتاريخ مصر فى العصور الوسطى، أن الدول والإمارات الإفريقية التى كان بينها وبين مصر علاقات بارزة، هى: الدول الإسلامية بشمالى إفريقية، حيث قام الحفصيون والزيانيون والمرينيون، والممالك الإسلامية بالسودان الغربى، وهى ثلاث: مالى ومضافاتها والبرنو والكانم، ثم بلاد النوبة المسيحية، ودولة الحبشة المسيحية والإمارات الإسلامية المتصلة بها.

ومدار البحث فى الفصل الأول هو نظرة إلى أحوال تلك الدول فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى، ببيان وضعها الجغرافى، وظروف قيامها، وطرف من أحداثها الداخلية؛ مما أثر فى نوع العلاقات بينها وبين مصر فى العصور الوسطى، خاصة خلال عصر الدولة المملوكية.

أولا ـ الدول الإسلامية بشمالى إفريقية

لقد شهد شمالى إفريقية قيام دويلات إسلامية مختلفة منذ أيام الدولة العباسية، وهى: دولة الأدارسة بمراكش (١٧٢/ ٣٧٥ هـ ـ ٧٨٨/ ٩٨٥م)، والأغالبة بتونس (١٨٤/ ٢٩٦هـ ـ ٨٠٠/ ٩٠٩م)، والزيانية بتونس (٣٦٢/ ٥٤٣هـ ـ ٩٧٢/ ١٠٥٢م)، والحمادية بالجزائر (٣٩٨/ ٥٤٧هـ ـ ١٠٠٧/ ١٠٧٢م)، والمرابطين بالمغرب الأوسط والأقصى والأندلس (٤٤٨/ ٥٤١هـ ـ ١٠٥٦/ ١٠٤٧م)، والموحدين بشمالى إفريقية كله والأندلس أيضًا (٥٤٢/ ٦٦٧هـ ـ ١١٣٠/ ١٢٦٩م)، فلما اضمحلت دولة الموحدين أصبحت ممتلكاتها قسمة بين الطامعين والمتنافسين من الولاة والزعماء، وقامت على أنقاضها دويلات ثلاث، وهى: الحفصية والزيانية والمرينية[1].

الدولة الحفصية فى تونس

فترة الدولة الحفصية بتونس من (٦٢٥/ ٩٤١هـ ـ ١٢٢٨/ ١٥٣٤م)، وتنتسب إلى أبى حفص عمر الهنتانى. وتتلخص قصة قيام هذه الدولة فى أن الموحدين ـ وهم بنو عبد المؤمن ـ عمدوا إلى إقطاع زعماء دولتهم الولايات والمدن ليحكموها باسمهم، ففى سنة ٦٠٣ هـ ـ ١٢٠٦م ولى عبد الواحد بن أبى حفص إفريقية (تونس) نائبًا عن الموحدين، واستمر الحال بها على هذا المنوال حتى ٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٨م حين خروج أبى زكريا بن عبد الواحد الحفصى عن طاعة بنى عبد المؤمن، وألغى أول مظاهر السيادة لدولتهم بالدعوة للمهدى وللخلفاء الراشدين. وعلة ذلك أنه أراد أن يظهر للناس بأنه المحافظ على تراث الموحدين الحقيقى. ويعتبر أبو زكريا هذا الذى أعلن استقلاله سنة ٦٣٤ هـ ـ ١٢٣٦م، أول ملوك بنى حفص المستقلين[٢]. وقد تلقب بالأمير المرتضى بعد أن كان أسلافه يتخذون لقب شيخ. ثم أعقبه فى الملك ابنه أبو عبد الله محمد، فلم يلبث أن خلعه عمه وبايع لأخيه، فجمع الأمير المخلوع رجاله واستوثق منهم، واستطاع أخيرًا أن يقتل عمه ويسترجع ملكه، ويتلقب بالمنتصر بالله أمير المؤمنين[٣] فكان بذلك أول من اتخذ لقب أمير المؤمنين من بنى حفص، وقد احتذاه من أتى بعده من ملوكهم.

وليس هنا مجال استعراض لتاريخ ملوك بنى حفص، وإنما تجب الإشارة إلى أن مسألة اعتلاء العرش فى تلك الدولة لم تكن مستقرة تمامًا؛ إذ أنها تعرضت فى كثير من الأحيان للصراع والمكائد بين العناصر المتنافسة.

وتمتد مملكة تونس الحفصية من الحدود الغربية للدولة المملوكية، وهى عقبة برقة إلى جزائر بنى مزغان بالجزائر الحالية. ويبلغ امتدادها جنوبًا حتى بلاد الجريد فى الصحراء الكبرى، وحدها الشمالى هو بحر الروم. وكانت مدينة تونس هى قاعدة ملك الحفصيين بإفريقية[٤].

دولة بنى زيان فى المغرب الأوسط

والمملكة الثانية من ممالك شمالى إفريقية هى دولة تلمسان فى المغرب الأوسط، والأسرة الحاكمة بها بنو زيان أو بنو عبد الواد نسبة إلى جدهم الأعلى(٥). وقد آل ذلك الجزء من المغرب الأوسط إلى بنى زيان فى ظروف، مشابهة للظروف التى أدت إلى قيام بنى حفص بتونس، إذ كان أبو يحيى يغمراسن بن زيان واليًا على ذلك الجزء من قِبَلِ بنى عبد المؤمن، فلما ظهرت بوادر الضعف على دولة الموحدين، استقل بذلك الإقليم، وأسس لأسرته دولة سنة (٦٣٣ / ٧٩٦ هـ - ١٢٣٥ / ١٣٩٣م) كانت تلمسان قاعدة حكمها. وقد اعترف يغمراسن سلطان بنى عبد الواد بسيادة بنى مرين بالمغرب الأقصى أولاً، ثم استبدل السيادة الحفصية بالمرينية بعد ذلك، لما بلغته دولة الحفصيين من الهيبة الروحية فى نظر أهل المغرب قاطبة(٦). على أن مسألة السيادة الحفصية على تلمسان لم تكن ثابتة، وإنما كانت موقوفة على مدى طموح الأمير الزيانى وصلته ببنى حفص. ودليل ذلك أن أبا سعيد عثمان الزياتى رفض فى سنة ٦٩٨ هـ - ١٢٩٨م إقرار النفوذ الحفصى فى بلاده، برغم زواجه من إحدى أميرات الحفصيين(٧). ومن ناحية أخرى بات من سياسة الدولة المرينية أيضًا ضم هذه المملكة الزيانية إليها، وإدالة ملك بنى عبد الواد كما حدث غير مرة.

ويمكن القول بأن تلك الدولة اشتملت على الجزء الأكبر من المغرب الأوسط؛ إذ كانت حدودها الشرقية حيث تنتهى مملكة إفريقية (بنى حفص)، وحدودها الغربية عند وادى نهر ملوية الذى فصل بينها وبين مملكة بنى مرين(٨).

دولة بنى مرين فى المغرب الأقصى

وأخيراً تأتى دولة بنى مرين بالمغرب الأقصى، وظروف قيامها مشابهة للظروف التى أدت إلى تفكك دولة الموحدين، وهى التى قضت القضاء الأخير على ملك بنى عبد المؤمن. وتوضيح ذلك أن التنافس كان قائمًا بين المرتضى سلطان الموحدين، وبين قائد جيوشه أبى دبوس، فلجأ القائد إلى أبى يعقوب يوسف بن

عبد الحق المرينى حاكم فاس، واتفقا على المناصفة فيما تتم لهما الغلبة عليه، فلما تمكن الأمر لأبى دبوس بدخوله مراكش أخل بالشرط، فحاربه أبو يعقوب المرينى وقتله[٩]، وتلا ذلك الاستيلاء على مراكش. وبذلك دالت نهائيًا دولة الموحدين، فى الوقت الذى بدأ فيه يعقوب بن عبد الحق بتأسيس دولته. (٦٦٧/ ٨٧٥ هـ - ١٢٧١/ ١٤٧٠م).

وقد امتدت تلك الدولة المرينية من حدود تلمسان شرقًا إلى البحر المحيط غربًا، وأنشأ سلاطينها عاصمة لملكهم أسموها «فاس» الجديد تمييزًا لها عن «فاس» البالى، وبذلك زال مركز مراكش، التى ظلت زمنًا طويلاً عاصمة لملك المرابطين والموحدين[١٠]. ويعرف سلطان بنى مرين لدى ديوان الإنشاء بمصر باسم صاحب فاس أو صاحب بر العدوة[١١].

وإلى جانب تلك الدول الثلاث كانت تقوم فى القواعد والثغور الوسطى ـ مثل بجاية وقسنطينة وبونة ـ إمارات صغيرة متعاقبة، لها استقلالها الذاتى مع الاعتراف بالسيادة لإحدى الدول السالفة، وكثيرًا ما انتقل الحكم فيها من متغلب إلى متغلب، وثارت حولها منافسات متعددة[١٢].

الأوضاع الداخلية فى دولة شمال إفريقية

ويستخلص من تاريخ تلك الدول الإسلامية بشمال إفريقية أن كلا منها كان ميدانًا لزعازع سياسية: إما بين الأسر المختلفة، أو بين فروع الأسرة الواحدة حول الأحقية فى العرش، وحوادث الخلع والتآمر والقتل متواترة فى تاريخها. ثم إنه كان ثمة دخن دائم بين تلك الدول الثلاث، فأضحى كل منها على حذر شديد من جاريه، وسبب ذلك أن كل دولة منها كانت تطمع فى توسيع ممتلكاتها كلما تهيأت لها الفرصة. هذا.. وقد ورث الحفصيون تراث الموحدين الروحى، مما أكسب دولتهم طابعًا شرعيًا ملحوظًا منذ البداية، ومما حدا بسلطان بنى مرين أبى يحيى أبى بكر (٦٤٢ /٦٥٦ هـ - ١٢٤٤/١٢٥٨م) إلى الاعتراف بنفوذهم فى بداية حكمه، وذلك قبل تأسيس دولة بنى مرين تأسيسًا نهائيًا على يد أبى يوسف يعقوب[١٣].

وهنا يبدو الفارق بين الدعامة التى ارتكز عليها كل من ملك الحفصيين والمرينيين، فملوك بنى حفص هم خلفاء الموحدين، فى حين أن بنى مرين قد أزالوا ملكهم، ونبشوا قبور خلفائهم، ولم تتأثل دولة بنى مرين إلا بفضل شخصيات الأوائل من ملوكها. ويلاحظ أن التراث الروحى الذى ورثه الحفصيون عن الموحدين قد أضحى سندهم فى المطالبة بالخلافة، واتخاذ لقب أمير المؤمنين منذ عهد السلطان أبى عبد الله محمد[١٤] (٦٤٧ / ٦٧٥ هـ ـ ١٢٤٩/ ١٢٧٧م). على أن الدولة المرينية بلغت من النفوذ والسطوة ما جعل بنى حفص وبنى زيان يحسبون لها حسابًا، وخاصة فى عهد السلطان أبى الحسن على (٧٣١/ ٧٤٠ هـ - ١٣٣١/١٣٤٨م) الذى استطاع أن يزحف على المغرب الأوسط، ويفتتح ثغوره تباعًا حتى دخل تلمسان عاصمة الدولة الزيانية سنة ٧٣٧هـ ١٣٣٦ م، ثم واصل زحفه نحو إفريقية فاستولى عليها، ولبث بها نحو عامين، حتى اضطرته الثورة التى قام بها ابنه أبو عنان فارس لانتزاع العرش إلى مغادرتها. ثم ما لبث بنو حفص أن هبوا لارتجاع ملكهم، لكن أبا عنان لم يمهلهم طويلاً، فقام بنفس الدور الذى قام به والده من امتلاك المغرب الأوسط وتونس، ولكنها استردت مرة ثانية بعد وفاته[١٥].

وفيما أورده العمرى دليل واضح على مدى ما بلغه سلطان بنى مرين أبى الحسن على من القوة؛ إذ وصفه بأنه أكبر ملوك شمالى إفريقية، وحيث يقال اليوم «صاحب المغرب فهو المراد»[١٦]. ومن الواضح أن الحفصيين حرصوا طيلة عهدهم على ألا يظفر المرينى بسلطان بنى زيان «لعلمهم أن تلمسان حجاب»[١٧]. وهكذا كانت دولة بنى زيان دولة حاجزة Buffer State بين بنى مرين وبنى حفص. ويمكن القول أخيرًا إن الدخن كان حقيقة مضطرمًا بين الدول الثلاث، إلا أن ما يقرِّب بين بنى حفص وبنى مرين كان أكثر مما يباعد بينهما. وبين بنى زيان، بسبب ارتباط المرينيين والحفصيين فى كثير من المصالح المشتركة.

ثانيًا: دول السودان الغربى وإماراته

مملكة مالى:

المقصود بالسودان الغربى هو الدول الواقعة غربى إفريقية، والدول التى عاصرت دولة المماليك بالسودان الغربى، حسب وضعها الجغرافى من الغرب إلى الشرق، هى مملكة مالى، وهى الدولة المعروفة بنفس الاسم حاليًا، وتعرف أيضًا فى بعض المراجع الأجنبية باسم مملكة ماندنجو Mandingo، وتمتد من المحيط الأطلنطى غربًا حتى مدينة كوكو[١٩] (فى الجنوب الغربى من بحيرة تشاد) شرقًا، وحدودها الشمالية المفاوز والسلاسل الجبلية الفاصلة بينها وبين بلاد اليمن، والجنوبية جهات ساحل العاج والذهب[٢٠]. وقد بلغت تلك المملكة أقصى اتساعها فى عهد ملكها منسا موسى (١٣١٣ - ١٣٣٨م)، الذى ضم إليها مملكة غانة، حتى أصبحت تشمل - حسبما أورد القلقشندى - إقليم مالى وصوصو[٢١] وغانة وكوكو[٢٢] وتكرور. وكان كل إقليم من تلك الأقاليم «مملكة» بذاتها، لها عاصمتها ونائبها الذى يحكمها من قِبَلِ السلطان. وتعتبر مملكة مالى ومضافاتها أكبر ممالك السودان الغربى نفوذًا وقوة، وقاعدتها مدينة مالى نفسها.

وصاحب تلك المملكة هو المعروف فى المراجع العربية باسم ملك التكرور. وهو يأنف من تلك التسمية، فليست بلاد التكرور سوى إقليم من أقاليم مملكته. وكان أحب إليه أن يقال له صاحب مالى[٢٣]. ولعل السبب فى تسميته بذلك الاسم هو أن بلاد التكرور أقرب أقاليم مالى إلى مصر. وفى أواخر القرن الرابع عشر حلت بالسودان الغربى دولة إسلامية أخرى محل مالى، هى مملكة سُنغاى Songhay، وقد قوى نفوذها إلى درجة مشابهة لنفوذ مالى أيضًا[٢٤].

مملكة البرنو

ومما يلى حدود بلاد التكرور غربًا حتى الشمال الشرقى لبحيرة تشاد، قامت مملكة البرنو التى امتدت جنوبًا حتى بلاد أدماوه Adamawa، وهى أقل من مملكة مالى مساحة ونفوذًا ونفرا، وقاعدتها مدينة كاكا[٢٥].

مملكة الكانم

وفى الشمال الشرقى من بحيرة تشاد حتى الحدود الجنوبية الغربية لمصر، قامت مملكة الكانم، وعاصمتها مدينة جيمى[٢٦]. ومن مدنها بولالا Bulala القريبة من الحدود المصرية. وهذه البلاد تعتبر جزءًا من نيجيريا الحالية، كما تعتبر مدينة كانو من أكبر مدنها فى الوقت الحاضر.

الأحوال الداخلية فى السودان الغربى وإمارته:

وتشترك تلك الدول الثلاث فى أن سكانها من السودان وهم مسلمون. ويرجح أن اعتناق أهل مالى وبرنو للإسلام، كان فى القرن الحادى عشر الميلادى[٢٧]. على أنه يستنتج من القلقشندى أن الإسلام انتشر بين الكانم قبل ذلك التاريخ، وأن الفضل فى ذلك للمصريين، كما يرجع الفضل فى انتشار الإسلام بين أهل مالى والبرنو إلى المجهودات التى قام بها دعاة المرابطين[٢٨]. ولاشك فى أن الوضع الجغرافى كان له أكبر الأثر فى هاتين الظاهرتين، فإن بلاد الكانم أقرب تلك البلاد إلى مصر وإلى الطرق الصحراوية المؤدية إليها، على حين أن البرنو ومالى أقرب لشمالى إفريقية. وقد ذكر ابن بطوطة أن أهل تلك البلاد يابسون فى الدين، ويتمذهب غالبيتهم بمذهب الإمام مالك، كما أن هناك أقلية على المذهب الشافعى[٢٩]، وللوكهم اهتمام ملحوظ بالمساجد، وحدب على الفقهاء والعلماء.

وقد اهتم ملوك تلك الدول الثلاث بالانتساب إلى أصل عربى، فذكر ملك البرنو بكتاب بعث به إلى سلطان مصر الظاهر برقوق، فى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى، أنه من ذرية سيف بن ذى يزن، ثم خلط بعد ذلك ونسب نفسه إلى قريش[٣٠]. وفى هذا خطأ واضح، فسيف بن ذى يزن من حمير باليمن، وقريش من عدنان بالحجاز. وكذلك الحال فيما يتعلق بملكى الكانم ومالى، فقد ادعيا النسب إلى العلويين من بنى الحسن. وربما لجأ ملوكهم إلى تلك الوسيلة؛ ليرفعوا من مكانتهم بين الدول الإسلامية، التى كان لهم معها صلات تجارية أو سياسية، وليقروا بسلطانهم الشرعى فى بلادهم.

وصف ابن بطوطة أنواع الحيوان والنبات وألوان الحياة فى تلك الجهات، وكان مما أثار دهشته كثرة العاج والذهب فيها «فقرية تغازى على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر»[٣١]. وبين ممالك السودان الغربى وبين دول المغرب بشمالى إفريقية قامت إمارات صغيرة، هى: أهير ـ ودامرته ـ ودمكه ـ ويحكمها أمراء مسلمون مستقلون يلقبون أنفسهم بالسلاطين، وهم لا ينتمون للمغرب ولا للسودان. وقد كان التجار المصريون يمرون بتلك الإمارات فى طريقهم إلى السودان الغربى[٣٢].

ثالثاً: ـ بلاد النوبة والسودان

مصادر المعلومات عن بلاد النوبة والسودان الشمالى

كانت بلاد النوبة بحكم ظروفها الطبيعية والسياسية من أشد البلاد غموضًا واستغلاقًا على كل من كتب عنها من الجغرافيين والمؤرخين، ولا يظفر الباحث الحديث فى تاريخ النوبة فى العصور الوسطى إلا بشذرات متفرقة بأشتات المراجع. على أنه يوجد كتاب هام فى تاريخ النوبة خاصة، ألفه عبد الله بن أحمد بن سليم بعد عودته من السفارة إلى تلك البلاد، من قبل جوهر الصقلى حوالى سنة ٩٦٩ م. واسم ذلك الكتاب «تاريخ أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل[٣٣]» فلما انتهى من كتابه أهداه إلى الخليفة الفاطمى العزيز بالله. وكان ابن سليم قد طوف ببلاد النوبة فزار نواحيها المختلفة، وكتب فى جغرافيتها وتاريخها، واستقى كثيراً من معلوماتها من ولى عهد النوبة فيما بعد[٣٤]. إلا أن ذلك الكتاب لم تصل إلينا نسخته الكاملة، وقد بحث عنه الرحالة الألمانى Burchardt بمكتبات مصر وأوربا فلم يعثر عليه. ولعله ما يزال بإحدى المكتبات لم ير الضوء بعد. على أنه من حسن الحظ أن المقريزى قد نقل معظم ما كتب فى «المواعظ والاعتبار» عن النوبة من هذا الكتاب. ولابد من الإشارة هنا إلى مصدر آخر هام عن بلاد النوبة، هو كتاب «كنائس وأديرة مصر»، الذى ألفه أبو صالح الأرمنى فى أول القرن الثالث عشر الميلادى».

مملكة النوبة وحدودها في العصور الوسطي

أما اسم النوبة فلم يكن مستعملا كمصطلح جغرافى للدلالة على النوبة الحالية حتى العصر الهلينى والرومانى. ففى العهد الفرعونى كانت النوبة السفلى تعرف باسم بلاد واوات، والنوبة العليا باسم كوش[٣٥]. وقد كان مقر العناصر التى أعطت اسمها لتلك البلاد فيما بعد ـ وهى قبائل Nabata ـ حول مناطق الواحات الواقعة غربى النيل بالصحراء الغربية، ثم نزحوا منها إلى تلك الجهات التى عرفت باسمهم لأول مرة فى عهد الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م)[٣٦].

والمقصود بالنوبة فى العصور الوسطى، تلك البلاد التى تصاقب حدود مصر الجنوبية على جانبى النيل حتى بلدة وادى حلفا، مضافًا إليها الجزء الشمالى من السودان الحالى حتى بلدة كورتى تقريبًا. وكان الحد الفاصل بين مصر الإسلامية والنوبة حصنًا للمسلمين بجزيرة بلاق، وهو الاسم الذى أطلق فى العصور الوسطى على جزيرة فيله Philae الواقعة جنوبى أسوان[٣٧]. وهذا الحصن من منشآت الامبراطور دقلديانوس لحماية الحدود الجنوبية من إغارات أهل النوبة، وقد دأب المسلمون على الاهتمام به، وتزويده بحامية عسكرية مسلحة للذود عن ثغر أسوان[٣٨]. وأول بلد فى النوبة هى القصر، وتبعد عن أسوان بخمسة أميال، وهى المعروفة اليوم بقصر أنس الوجود. أما الحدود الجنوبية لتلك البلاد فغير معروفة على التحقيق. وكل ما تذكره المراجع أنها جنوبى دنقلة بمسيرة أربعين ليلة حيث تنتهى إلى بلاد الزنج. أما فى الغرب فتحدها جبال كردفان ودارفور ومرتفعات فازوغلى، وتمتد شرقًا حتى تخوم مملكة الحبشة[٣٩].

وقد قامت ببلاد النوبة فى العصور الوسطى مملكتان مسيحيتان: وهما مقرة وعلوة[٤٠]، وقد ظهرت هاتان المملكتان على أنقاض ولايتى نباتا Napata ومروى Meroe فى العصر الرومانى. وتمتد المملكة الأولى «مقرة» من حدود مصر الجنوبية حتى الشلال الثالث جنوبًا، حيث جزيرة سای ومدينة كورتى، وعاصمتها دنقلة وتكتب فى بعض المراجع دمقلة. وللتمييز بينها وبين دنقلة

الحالية التى تقع إلى الشمال منها بنحو مائة ميل تقريبًا. . أطلق عليها اسم دنقلة العجوز[٤١]، Old Dongola، وتقع على الضفة الشرقية بعكس دنقلة الحالية. وتعرف مملكة «مقرة» فى أكثر الأحايين باسم مملكة دنقلة، وتنقسم هذه المملكة إلى أقاليم يحكمها ولاة من قِبَلِ متملكها[٤٢]. وأرفع هؤلاء شأنًا «صاحب الجبل»، ويحكم فى المنطقة المعروفة باسم مريس[٤٣]، التى تمتد من الدر حتى الشلال الثانى تقريبًا. وقد نتج عن تحريف النساخ أن ورد اسم هذا الوالى فى بعض المراجع باسم «صاحب الخيل[٤٤]»، وبالتحقيق ثبت أنه صاحب الجبل. فقد ذكر ابن الأثير فى تاريخه أثناء الكلام على ثورة أبى ركوة، فى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى، أن هذا الثائر سار إلى بلد النوبة، فلما بلغ إلى حصن يعرف بحصن الجبل للنوبة أظهر أنه رسول الحاكم إلى ملكهم، وذكره فى موضع آخر بأنه صاحب القلعة، ويفهم من ذلك أن هذا الحصن كان على جبل منيع. كذلك لم يشر كتاب «كنائس وأديرة مصر» إلى تصحيف بصدد ما ورد فى هذا الكتاب عن صاحب الجبل[٤٥]. هذا. . فضلا عن أنه توجد بتلك البلاد جهات، مثل: جبل بركال، وجبل أده، وجبل تقوق، وكلها تدعم كتابة اسم صاحب الجبل. وكان مقر ذلك الوالى بلدة ابريم الواقعة على مسافة مائتى كيلو متر جنوبى أسوان، وهى قلعة حصينة ظلت زمنًا طويلا معقلا من المعاقل الحربية الهامة لحماية تلك البلاد.

وقد جرت العادة بهذه المملكة أن يختار صاحب الجبل ممن يُتوافر فيهم البأس والحزم؛ لأن إقليمه كان أقرب أقاليمها إلى مصر. ومهمته مراقبة الحدود الشمالية وضبط أمورها الإدارية والحربية والتجارية، فلا يستطيع قادم على تلك البلاد أن يدخلها دون استئذان، وعن طريقه تصل الهدايا إلى ملك دنقلة، وهو الذى ينظم الاتصال بالملك لمن يرغب فى ذلك[٤٦].

والمملكة الثانية ببلاد النوبة هى المعروفة بمملكة «علوة»، وهى أكثر اتساعًا وغنى وقوة من مملكة دنقلة، ويرجع السبب فى ذلك إلى أنها حظيت بالأراضى الخصبة الواقعة بين النيلين الأزرق والأبيض[٤٧]، فضلاً عن اتساع وادى النيل نفسه فى تلك الجهات وكثرة عدد سكانها. وقاعدة هذه المملكة مدينة سوبه،

الواقعة شرقى الخرطوم بنحو خمسة عشر ميلا[٤٨]. وتنقسم علوة ـ كما هو الحال فى مقرة ـ إلى ولايات يحكمها نواب عن الملك، وأهمها مملكة الأبواب، وكان لصاحبها من المكانة فى مملكة علوة، مثل ما لصاحب الجبل فى مملكة دنقلة لأسباب مشابهة أيضًا، إذ أن ولايته واقعة عند حدود مقرة، وكان يلقب صاحب الأبواب بالوحواح[٤٩].

النوبة والمؤثرات الحضارية المصرية

ومن الملحوظ فى تاريخ مصر أن ما يجرى بها من الأحداث المختلفة يتردد صداه فى حدودها الجنوبية، فقد بشر كهنة رع وآمون بدياناتهم فى بلاد واوات وكوش، وحملوا آلهتهم إلى تلك الجهات، وبنوا بها المعابد والهياكل على الطراز الفرعونى[٥٠]. واستمر الحال كذلك فى عهد البطالمة، فانتشرت عبادة إيزيس وسيرابيس بتلك البلاد الجنوبية فى ذلك العهد. وفى العصر الرومانى كانت مصر من أسبق ولايات الدولة الرومانية إلى اعتناق الديانة المسيحية، فلم يكن جديدًا أن تعمل مصر المسيحية على نشر دينها الجديد فى تلك الأصقاع الجنوبية بولايتى نباتا ومروى[٥١]. على أنه رغم انتشار المسيحية بمصر ـ فى القرنين الأول والثانى للميلاد ـ فإن بلاد النوبة قد احتفظت بديانتها القديمة، وهى عبادة سيرابيس وإيزيس حتى النصف الأول من القرن السادس الميلادى. ومن الأدلة التاريخية على ذلك أنه فى سنة ٤٥١م، عقد القائد الرومانى Maximian مع النوبة صلحًا، مؤداه أن يسمح لهم بزيارة معبد إيزيس بجزيرة فيلة، وحمل تمثالها معهم ثم إرجاعه بعد وقت معين، وذلك بحسب المرعى من تقاليدهم الدينية القديمة[٥٢].

ولعل صاحب الفضل الأول فى إيصال المسيحية إلى تلك البلاد لأول مرة، هو الإمبراطور جاستينيان حين أرسل فى سنة ٥٤٠ م سفارة للقيام بنشر المسيحية فى النوبة، على أن حاكم طيبة عوق السفارة لديه، وأرسل من قبله جوليان Julian أحد أساقفة الإسكندرية ممن عرفوا بالنشاط. وفعلا اعتنق ملك دنقلة وقتذاك، واسمه سلكى Selki، الدين المسيحى على مذهب الكنيسة المصرية المرقسية[٥٣]. ثم

وصلت سفارة الإمبراطور إلى ملك دنقلة عقب ذلك فردها ردًا جميلا، وأرسل بصحبتها الهدايا إلى الإمبراطور، معتذرًا عن اعتناق المسيحية على المذهب الرومانى. وعلى أثر ذلك انتشرت المسيحية انتشارًا واسعًا بمملكتى مقرة وعلوة ـ أى بجميع بلاد النوبة ـ على المذهب المرقسى.

ويتضح مما سبق أن النوبة احتفظت بوثنيتها زمنًا طويلا أمام المسيحية الدافقة. وتكررت هذه الظاهرة نفسها فيما يتعلق بانتشار الإسلام فى تلك الجهات، فإنه على الرغم من دخول الإسلام فى مصر منذ القرن السابع الميلادى، لم تتأثر به بلاد النوبة حتى القرن الرابع عشر زمن دولة المماليك. ولهذه الظاهرة عمومًا تفسير يمكن تفريعة من الظروف الجغرافية لهذه البلاد واعتصامها بين الجنادل وصعوبة الوصول إليها، مما كان يجعلها فى عزلة شديدة عن مصر.

ومنذ دخول المسيحية فى النوبة، أخذ بطرك الإسكندرية يرسل مطرانًا للنوبة، فإذا مات رسم لها مطرانًا آخر(٥٤)، وقد بلغ عدد أسقفياتها سبع عشرة أسقفية. ويلاحظ أن ملوك تلك البلاد استكثروا من بناء الكنائس، وحولوا كثيرًا من الهياكل والمعابد القديمة إلى كنائس أيضًا، ولا تزال آثار الكتابة القبطية مختلطة بالنقوش المصرية القديمة فى معابد أبى سمبل والدكة وكلابشه وغيرها(٥٥)، هذا فضلا عن تأسيسهم لكثير من الأديرة، التى كان يأتى إليها الرهبان من مصر. ويلاحظ أيضًا أن النوبيين كانوا على معرفة باللغة القبطية، واستعملوها فى كتاباتهم، كما استخدموا حروفها فى كتابة لغتهم، وذلك إلى جانب الحروف اليونانية أيضًا(٥٦). وقد ذكر أبو صالح الأرمنى أنه يوجد بمملكة علوة وحدها زهاء أربعمائة كنيسة، ورغم ما فى هذا العدد من المبالغة.. فإن له دلالته.

وأخيرًا تجب الإشارة إلى نقطتين هامتين بصدد الأحوال العامة ببلاد النوبة: فالنقطة الأولى تتعلق بنظام تولية العرش، حيث كان المتبع أن يخلف الملك القائم بالأمر ابن أخته، وليس للابن المباشر الحق فى ارتقاء العرش، إلا إذا كان ابن الأخت غير موجود. ومثل هذا النظام معمول به أيضًا فى ممالك السودان

الغربى[٥٧]. ويبدو أن الملك كان ينتقل على أساس النسب الأمومى، matriarchal. والنقطة الثانية هى العلاقات بين مملكتى مقرة وعلوة، فقد ظلتا دولتين مسيحيتين تسود بينهما المحبة والطمأنينة حتى أوائل القرن الثانى عشر، ثم أخذت روح العداوة والشحناء تدب بينهما بسبب النزاع على الحدود واختطاف الرقيق، فبدأت كل منهما تغير على الأخرى كلما واتتها الفرصة، وقد أدى ذلك إلى ضعفهما فى النهاية، مما سهل سقوطهما فى أيدى المماليك.

قبائل الصحراء الشرقية

وتفصل بلاد النوبة من الجهة الشرقية بأراضى القبائل المعروفة بقبائل البجة[٥٨]. وموطنها بين النوبة والبحر الأحمر فيما بين أسوان ودنقلة تقريبًا. ولا تزال بعض هذه القبائل البجاوية تتمثل فى قبائل العبابدة والبشارية والهدندوه، المنتشرة فى الوقت الحاضر بالصحراء الشرقية من أسوان إلى السودان. وبرغم حياتهم البدوية التى لا تعرف الاستقرار.. فقد كان لهم سلطان يأتمرون بأمره، وقد لقبه ابن بطوطة بالحدربى، وقاعدته مدينة سواكن. ووردت هذه المدينة فى بعض المراجع على أنها جزيرة، وذلك لقيامها فعلا وسط جزيرة يصلها بالشاطئ لسان ضيق من الأرض[٥٩]. وقد ظلت قبائل البجة على الوثنية إلى أن هاجرت بعض قبائل العرب المسلمة، عن طريق البحر الأحمر، إلى تلك الجهات فى القرن الأول الهجرى، فاعتنق بعضهم الإسلام، لكنه لم ينتشر بينهم انتشارًا كبيرًا إلا بعد أن قضت على شوكتهم الحملات المتعددة التى ظل يرسلها حكام مصر وسلاطينها فيما بعد.

وكانت الحكومة القائمة فى مصر تهتم بتلك القبائل الضاربة فى صحراء النوبة والسودان لأمرين: أولهما وجود معادن الذهب والفضة فى تلك الصحراء، فضلا عن الزمرد فى البحر الأحمر. وثانيهما انتشار تلك القبائل وسيطرتها على طول الطرق التجارية كالطريق بين قوص وعيذاب[٦٠]، الذى سلكته قوافل الحجاج من مصر خصوصًا، إلى جانب الطرق الأخرى التى تصل إلى عدن وسواكن وسواحل البحر الأحمر[٦١].

رابعًا : بلاد الحبشة

حدود بلاد الحبشة فى العصور الوسطى

تمتد الإمبراطورية الحبشية فى العصور الوسطى من ساحل خليج عدن والمحيط الهندى إلى سواكن شمالا على ساحل البحر الأحمر. وحدودها فى الغرب حيث تنتهى مملكتا علوة ودنقلة، وفى الجنوب خط الاستواء، على أن تلك الحدود لم تثبت على ذلك النحو طوال العصور الوسطى. ومما يستحق ذكره هنا أن ثمة خلطًا بين بلاد الحبشة والنوبة فى بعض المراجع العربية التى كتبت عن أحوال هاتين المملكتين. ومصدر هذا الخلط راجع إلى نفوذ الإمبراطورية الحبشية فى بلاد النوبة حتى النصف الأول من القرن السادس الميلادى، حين استقلت مملكة النوبة عن الحبشة استقلالاً فعليًا.

وتنقسم الحبشة جغرافيًا إلى قسمين: أولهما الهضبة الداخلية المترامية الأطراف بما فيها من قمم عالية وجبال مرتفعة، وثانيهما الأصقاع المنخفضة التى تفصلها عن الهضبة انكسارات جيوليوجية. ولهذا التقسيم الجغرافى أهميته فى اختلاف الإقليم الجنوبى والشرقى عن الهضبة الداخلية فى كثير من الظروف والأحوال، مما جعل الحبشة فى العصور الوسطى قسمين من الناحيتين السياسية والدينية: فالقسم الأول هو الحبشة المسيحية وتشمل الهضبة الداخلية، والقسم الثانى الأمارات الإسلامية، وهى الجهات الواقعة على ساحل البحر الأحمر وبحر الهند، والتى تعرف بالصومال حاليًا.

الحبشة المسيحية

أما الحبشة المسيحية فيحكمها الحطى، وعاصمة ملكه مرعدى بإقليم أمحرة (٣٦). وتعتبر مدينة أكسوم (٦٤) أهم المدن من الناحية الدينية، حيث توجد بها أعظم الكنائس الحبشية. وقد دخلت الديانة المسيحية إلى تلك البلاد فى عهد الإمبراطور قسطنطين الأكبر حوالى سنة ٣٣٠م، ولذلك قصة يمكن إجمالها فى أن أحد تجار مدينة صور (لبنان) ويدعى Meropius انتهى به المطاف إلى ساحل

المحيط الهندى قبالة الحبشة فتحطمت سفينته، وكان ممن نجا من الغرق بحار اسمه Frumentius آواه ملك الحبشة زمنًا ما، ثم ذهب إلى الإسكندرية حيث رسمه البطرك[٦٥] أثناسيوس مطرانا لأكسيوم، ولقب بالأب سلامة. وقد ألحقته الكنيسة القبطية بمراتب القديسين؛ نظرًا لجهوده الموفقة فى نشر المسيحية ببلاد الحبشة[٦٦]. على أنه بمجرد أن وصل هذا النبأ إلى مسامع الإمبراطور البيزنطى Constatius، أسرع فى إرسال سفارة للتبشير بالمذهب الرومانى وللتحقير من شأن فرومنتيس[٦٧]. وهكذا نرى منذ البداية أن الكنيسة الرومانية كانت تنفس على الكنيسة القبطية استقرار قدمها فى الحبشة، وتحاول مناهضتها كما سيتضح ذلك فيما بعد. وقد جاء القرار الثانى والأربعون من قرارات مجمع نيقية المقدس سنة ٣٢٥م، مؤيدًا ومؤكدًا لتبعية الكنيسة الحبشية للبطركية المرقسية فى الإسكندرية، فذكر أنه لا يجوز للأحباش أن يعينوا أو يختاروا مطرانًا من قبلهم، بل ينبغى أن يكون ذلك عن طريق بطرك الإسكندرية، مما أعلى من شأن المطران القبطى فاعتبره بمثابة البطرك فى الحبشة، ووضعه فى المرتبة السابعة من رجالات المجامع الكنسية العامة[٦٨].

ومنذ دخول المسيحية إلى تلك البلاد ظلت بطركية الإسكندرية ترسم لها مطارنة مصريين بناء على طلب ملوكها، وأصبح لقب بطرك الإسكندرية «خليفة الأب البشير مارى مرقس الإنجيلى المبشر بالإنجيل، وبشرى السيد المسيح بالمدينة العظمى بالإسكندرية وأقاليم مصر والحبشة والمدن الخمس بالمغرب»[٦٩]. أما المطران فإنه يُختار من بين الرهبان، وقد خصصت له أراض فى منطقة Dembea بالقرب من بحيرة طانا، وفى منطقة تجرى Tigre، إلى جانب مزايا أخرى كان يستمد منها دخلا طائلا[٧٠]. هذا فضلا عن أن أهم الشخصيات الدينية الرسمية إلى جانب المطران المصرى بالحبشة، هو الأسقف الحبشى المعروف باسم اتشجى Etchegié وهو رئيس دير اسمه Debra Lebanos، وهو أعظم الأديرة الحبشية مقامًا[٧٢].

بقيت مسألة تتعلق بالفكرة التى سادت فى القرون الوسطى عن وجود منابع النيل فى بلاد الحبشة، إذ قيل إن النيل يخرج من بحيرة كورى هناك، كما يخرج منها أيضًا نيل مقدشو متجهًا إلى الشرق، ونيل غانه إلى الغرب(٧٣). وظلت تلك الفكرة قائمة حتى القرن التاسع عشر، حين استطاع الرحالة والمستكشفون أمثال مارتون وجرانت وأمين باشا وغيرهم إماطة اللثام عن منابع النيل الاستوائية(٧٤).

إقليم الطراز الإسلامى: (الصومال)

أما القسم الثانى من بلاد الحبشة فهو المعروف لدى جغرافيى العرب بإقليم الطراز الإسلامى، وقد أطلق عليه هذا الاسم لأن مواقع الإمارات الإسلامية على ساحل البحر كالطراز للثوب(٧٥). وعدد هذه الإمارات سبع، هى: أوفات ويقال لها أيضًا جبرت، ومن مضافاتها إقليم زيلع، ويندرج فيها أيضًا الإقليم المعروف باسم شوا Shoa، وعاصمتها مدينة أنكوبر Ankobar، ثم إمارة دوارو وتقع جنوبى أوفات، وإلى الجنوب الغربى منها تقع مالى، ثم يتلوها إقليم أراييني Arayini. ويذكر بعض المؤرخين أن هذا الاسم إنما هو تحريف؛ إذ يوجد بالحبشة الحالية إقليم فى الشمال الشرقى من بحيرة طانا يعرف باسمAran، وبذلك يكون موقعها غير ما بيَّنه Kammerer فى خريطته، على حين أن Cohen يرى أنها هى مقاطعة Alamale وهو ما أخذ به Kammerer. ثم يلى أوفات غربًا إقليم شرحا، وقد صححه Demombynes شرحه. ويذكر نقلا عن Basset أن هناك فى منطقة جوجام إقليمًا ومدينة باسم Sarka وهذه المدينة عاصمة إقليم Enarea فى الوقت الحاضر. وأخر الإمارات الإسلامية إمارة دارة، وتقع فى الجنوب الغربى من بحيرة طانا، وقد أطلق الناس بمصر اسم بلاد الزيلع على تلك الإقاليم جميعها. وواضح مما ذكر أن الزيلع إنما هى إقليم فى إمارة من تلك الإمارات، أضف إلى هذا كله أنه تقع قبالة مصوع فى البحر الأحمر مجموعة من الجزر، تعرف باسم دهلك، ولها متملك مسلم مستقل عن ملوك الإمارات الإسلامية السالفة(٧٦). أما مدينة مصوع نفسها فيطلق عليها أحيانًا اسم جزيرة مصوع لنفس السبب الذى سميت من أجله سواكن باسم جزيرة، على أن مدينة مصوع لم تكن معروفة

بهذا الاسم حتى القرن الثالث عشر الميلادى؛ إذ كانت تسمى قبلا باسم ناصع(٧٧).

ويحق التساؤل هنا عن كيفية دخول الإسلام إلى هذه المناطق. والمعروف أن الصلات قديمة بين بلاد الحبشة وبلاد العرب. فلما ظهرت الدعوة الإسلامية فى شبه الجزيرة العربية بعث النبى إلى نجاشى الحبشة (مالخ الثانى) Malikh II رسالة يطلب منه الدخول فى الإسلام، وكذلك اتخذ بعض المسلمين من بلاد الحبشة مهجرهم الأول. وأراد عمر بن الخطاب أن يفتح تلك البلاد، فأرسل إليها سرية فى ٢٠ هـ ٦٤١م بقيادة علقمة بن مجزر المدلجى فلم توفق إلى شىء(٧٨)، على أن انتشار الإسلام لم يأخذ صورة فعالة إلا بفضل نزوح بعض القبائل العربية فى القرن الهجرى الأول للتجارة هناك(٧٩). ثم نمت تلك الإمارات الإسلامية فيما بين النصف الثانى من القرن السابع، والنصف الثانى من القرن التاسع الميلاديين(٨٠)، وهذا يدعم قضية الانتشار السلمى للإسلام فى القارة الإفريقية.

وقد ذكر العمرى معلومات مستفيضة عن أحوال تلك الممالك الإسلامية، ويهمنا أن نبرز منها علاقة ملوك المسلمين بالحطى وعلاقتهم ببعضهم البعض، فجميع هؤلاء الملوك يدينون بالسيادة للحطى. ومن مظاهر ذلك إلزامهم بدفع قطيعة سنوية من القماش وغيره، فإذا مات أحد هؤلاء الملوك.. تدخل الحطى فى تولية من يخلفه على العرش من أبناء بيته. وكان من العوامل الكبرى فى تمكين سيادته عليهم، تفرق كلمتهم وعدم تماسكهم، فضلا عما كان بينهم من التنافس والموجدة، مما حدا بهم إلى التسابق فى التزلف إليه والتقرب منه(٨١).

وقد ظلت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين طيبة حتى النصف الثانى من القرن الثالث عشر، ومن ثم أخذت تضطرم بين العنصرين عوامل البغضاء، وخاصة فى عهد الملك يقونو أملاق Yekuno Amlak، وبدأت لذلك منذ ١٢٦٨م سلسلة طويلة من الحروب الدموية ضد المسلمين بقيت زهاء ثلاثمائة عام(٨٢). وليس فى المراجع المتداولة تعليل معقول للدافع الذى حدا بذلك الملك إلى اصطناع تلك السياسة بإزاء المسلمين، وكل ما يمكن أن يقال ـ من قبيل الاستنتاج ـ

هو أن ذلك القرن قد شهد أواخر الحروب الصليبية بالشام، وتفكير بعض الملوك بأوروبا فى الاتصال بجيران الدولة المملوكية من المغول وغيرهم، ولعل ما حدث بالحبشة فى قيام الملك يقونو بحرب المسلمين إنما يرجع إلى شىء من ذلك الاتصال الذى لم تصل إلينا أخباره. ومن ناحية مسلمى الحبشة شهد ذلك القرن أيضًا ظهور شخصيات بارزة بين ملوكهم، وخاصة فى منطقة عدل، وقد بذل بعضهم جهدًا كبيرًا فى لم الشعث وتوحيد قوى الإمارات الإسلامية هناك لإعلان الجهاد ضد التحركات الصليبية.

وقد أسهب المقريزى فى كتاب «الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام» فى ذكر حوادث النزاع بين المسلمين والحطى، أثناء النصف الأول من القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى). واستمد أخباره أيام مجاورته بمكة سنة ٨٣٩ هـ - ١٤٢٥م[٨٣]، ولعله استقاها من طائفة الزيلع الموجودة هناك[٨٤]. وكذلك فصل شهاب الدين أحمد بن عبد القادر الجيزانى المعروف باسم عرب فقيه فى كتاب «تحفة الزمان أو فتوح الحبشة» أخبار ما احتدم بين العنصرين من صراع فى النصف الأول من القرن السادس عشر. ويمتاز عرب فقيه عن المقريزى بأنه سافر إلى هرر، ولازم السلطان أحد جران فى حروبه ضد إمبراطور الحبشة، فجاء كتابه وصف شاهد عيان[٨٥]. وقد نشر Rene Baset النص العربى لهذا الكتاب فى أربعة أقسام، تحت عنوان «تاريخ غزو الحبشة فى القرن السادس عشر».

هوامش الفصل الأول

١ ـ أبو الفدا ـ المختصر فى أخبار البشر جـ ٣ ص ١٩٦.

القيروانى ـ المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ص ١٢١.

وكذلك Lane - poole, Mohammadan Dynasties, p, 48.

٢ ـ Lane - poole, op. cit., p, 75.

٣ ـ ابن الوردى ـ ذيل المختصر فى أخبار البشر جـ ٣ ص ١٩٠.

٤ ـ القلقشندى ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا جـ ٥ ص ٩٩.

وقد ألف أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التيجانى كتابًا اسماء «رحلة الشيخ التيجانى»، وهو مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس. وقد أودع فيه المؤلف أسماء البلدان التونسية وما شاهده فيها أثناء مرافقته للأمير أبى زكريا اللحيانى فى رحلته التى قام بها فيما بين سنتى ٧٠٦ و ٧٠٨ هـ. وقد نشرت ترجمة فرنسية له فى Journal Asiatique, Avril - Mai, 1881.

٥ ـ جاء فى كتاب «الأنيس المطرب» لابن أبى زرع أنهم بنو عبد الوادى (جـ ٢ ص ٣١٧ مثلا).

٦ ـ يكثر فى أسماء ملوك الدولة الزيانية ألقاب بربرية مثل حمو ورحمو. وقد أورد ابن الحاج فى كتابه المدخل جـ ١ ص ١٢٩ تفسيرًا لها؛ إذ قال «فلما أن كان أهل المشرق الغالب على بعضهم حب الفخر والرياسة أبدل لهم (الشيطان) تلك الأسماء المباركة بما فى ذلك نحو عز الدين وشمس الدين إلى غير ذلك... ولما أن كان أهل المغرب الغالب عليهم التواضع وترك الفخر والخيلاء أتى لبعضهم من الوجه الذى يعلم أنهم يقبلونه منه، فأوقعهم فى الألقاب المنهى عنها بنص الكتاب فقال لمحمد حمو، ولأحمد حمدوس، وليوسف يسو، ولعبد الرحمن رحمو.

oberkandl.com

٧ ـ ابن خلدون ـ العبر جـ ٧ ص ٧٧.

٨ ـ Lane - poole, op. cit. p. 51.

Mercier, Hist. De l'Afrique, T. 11 p. 16.

٩ ـ القلقشندى صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٤٩.

١٠ ـ القلقشندى ـ صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٥٢، السلوك جـ ١ ص ٦٢٠ (حاشية).

١١ ـ العدوة لفظ شائع فى المغرب كمرادف لشاطئ النهر، فيطلق على مدينتى فاس البالى والجديد اسم العدوتين. وكذلك يطلق أيضًا على مدينتى سالى ورباط لوقوع كل اثنتين منهما متقابلتين على ضفتى النهر. ويلقب ابن خلدون سلطان الموحدين بملك العدوتين لامتلاكه المغرب والبر المقابل له من الأندلس.

١٢ ـ ابن خلدون ـ العبر جـ ٧ ص ٣٩٩.

١٣ ـ القيروانى ـ المونس ص ١٢٨، السلوك جـ ١ ص ٦٣٠.

١٤ ـ Van Berchem, Titres Califiens (J. As - Mars - Avril 1907).

١٥ ـ ابن خلدون. العبر جـ ٧ ص ٣٨٨، القلقشندى ـ صبح الأعشى جـ٥ ص ١٩٨.

١٦ ـ العمرى مسالك الأبصار ص ١٠٣١

١٧ ـ نفس المصدر والصفحة.

١٨ ـ هى التى تعرف فى الخرائط الحديثة Enc. IsI. Art. Mali.

١٩ ـ القلقشندى ـ صبح الأعشى جـ ٥ ص ٣٨٣.

٢٠ ـ منسا لقب يطلق على حكام مالى، ومعناه السلطان (ابن بطوطة تحفة النظار جـ ٤ ص ٣٩٩).

٢١ ـ أقرب المدن شبها بهذا الاسم على الخرائط الحديثة مدينة سوكوتو Sokoto (نيجيريا).

٢٢ ـ أقرب المدن شبها باسمها على الخرائط الحديثة كوكاوا Kukawa (نيجيريا).

٢٣ ـ العمرى ـ مسالك الأبصار ص ٩٢٩ ـ القلقشندى جـ ٥ ص ٣٩٢.

٢٤ ـ Hogben, Muhammadan Emirates of Nigeria, p. 32.

٢٥ ـ Palmer, The Bornu Sahara, p. 16.

٢٦ ـ Enc. IsI. Art. Kanem

٢٧ ـ Palmer, op. cit. p. 1.

obeikandl.com

٢٨ ـ Hogben, op. cit, p. 4.

٢٩ ـ ابن بطوطة ـ تحفة النظار جـ ٤ ص ٣٨٨.

٣٠ ـ القلقشندى ـ صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨٠.

٣١ ـ ابن بطوطة ـ تحفة النظار جـ ٤ ص ٣٧٨ ـ العمرى مسالك الأبصار، ص ٩٦٣.

٣٢ ـ المقريزى ـ المواعظ والاعتبار جـ١ ص ١٩.

٣٣ ـ Quatremere, Memoires Geog. et Hist. sur L'Egypte t. p. p. 3.

٣٤ ـ ذكر كاترمير أن هناك عالمًا اسمه Sevin ادعى عثوره على مخطوط عربى فى سبعة مجلدات بإحدى مكتبات القسطنطينية، وبه معلومات قيمة عن الحبشة والنوبة وما يجاورهما من الجهات، ولكن كاترمير لم يظفر بهذا الكتاب، ويشك كثيرًا فى حقيقة هذا الادعاء.

٣٥ ـ Mackmichael, op. cit. Vol. p. 25.

٣٦ ـ Amelineau, La Geographie de L'Egypte à l'Epoque Copte, p. 347.

٣٧ ـ المقريزى ـ الخطط (نشر فيت) ص ٢٨٧ ـ حاشية.

٣٨ ـ المقريزى ـ الخطط (بولاق) جـ ١ ص ١٩٨، ـ ياقوت ـ معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٣٦.

٣٩ ـ Enc. Of IsI, Art. Nuba.، المقريزى ـ الخطط جـ ١ ص ١٩٠ ـ ١٩١.

٤٠ ـ Budge, Hist. of Ethiopia, Vol. 1 pp. 112 - 113.

٤١ ـ نعوم شقير ـ تاريخ السودان القديم والحديث جـ ٢ ص ٥٥.

٤٢ ـ المرجع السابق، ص ٥٦.

٤٣ ـ ذكر ابن خرداذبة أن لقب ملك دنقلة كابيل، ولم أعثر على استعمال لهذا اللقب فى غير هذا المرجع (المسالك والممالك ص ١٧) كما ذكر أبو صالح الأرمنى (كنائس وأديرة مصر ص ٢٨٦) أنه رابع ملوك الأرض قوة وسلطانًا.

٤٤ ـ المريس معناه الجنوب، وتسمى الرياح القبلية التى تهب على مصر باسم المريسية؛ لأنها تهب من الجنوب حيث بلاد المريس (القلقشندى جـ ٣ ص ١٧٦). ولأهل تلك الجهات الآن كلف بنوع من الشراب الخمير المصنوع من الشعير يعرف باسم المريسة. وقد ذكر ياقوت (معجم البلدان جـ ٣ ص ٨٧) أن المريسة جزيرة فى بلاد النوبة يجلب منها الرقيق.

obeikandl.com

٤٥ ـ كما فى السلوك مثلا ص ٦٣٦، وابن الفرات (تاريخ الدول والملوك) جـ ٧ ص ٤٥ وغيرهما.

٤٦ ـ أبو صالح الأرمنى ص ٢٦٦.

٤٧ ـ يعرف النيل الأزرق لدى مؤرخى المسلمين باسم النيل الأخضر (الخطط جـ ١ ص ١٩٣).

٤٨ ـ معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٢ ـ شقير ـ تاريخ السودان جـ ٢ ص ٦٥.

٤٩ ـ يذكر فيت أن هذا اللقب قد ورد أيضًا باسم الرحراح والطجطاح والدحداح (الخطط ص ٢٨٧) ـ حاشية.

٥٠ ـ Russel, Nubia and Abyssinia, p. 8.

٥١ ـ هناك رأى يقول إن المسيحية انتشرت فى النوبة عن طريق تأثرها ببلاد الحبشة ولكن الراجح هو الرأى المذكور هنا.

٥٢ ـ Dela Ronciere, Hist. de la Nation Egyptienne, T. 1. p p. 198 - 1990.

٥٣ ـ يذكر أبو صالح الأرمنى أن أول ملوك النوبة المسيحين هو Bahariya وعلى أثر اعتناقه لهذا الدين الجديد دخل فيه الشعب أفواجًا (كنائس وأديرة مصر ص ٢٦٦).

٥٤ ـ Hist. of the Patriarchs Vol. 111, p. 140.

٥٥ ـ David Roberts, Egypt and Nubia, Vol. 1, p. 3.

٥٦ ـ Griffith, The Nubian Texts of The Christian Period, p. 2.

٥٧ ـ أبو صالح الأرمنى ص ٢٧١ - ٢٧٢

٥٨ ـ تكتب أحيانًا البجاة (القلقشندى جـ ٥ ص ٢٧٤).

Budge, Hist. of Ethiopia, Vol. 1 p. LIB.

٥٩ ـ رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ١١٠ ـ ٦ ـ السلوك جـ ١ ص ٥٠٦ (حاشية).

٦٠ ـ ذكر Amelineau أن عيذاب هى: إما ألمدينة الإغريقية Berenice، أو Myoshomos وتقترب من القصير حاليًا، أما Evetts فإنه يؤكد أنها Berenice لا غير.

Wiet et Maspero, Materiaux pour servir à la geographie de l'Egypte, p. 129.

٦١ ـ Ziada, Foreign Relations, p. 114.

٦٢ ـ لا يستخدم الأحباش اليوم تسمية بلادهم باسم بلاد الحبشة، ويرون فى ذلك منقصة لهم ويعتزون باسم إثيوبيا نسبة إلى إثيوبس حفيد حام الذى استقرت أساطيره فى بلادهم؛ فعرفوا بالنسبة إليه (عبد الله حسين - المسألة الحبشية ص ٥٥).

٦٣ ـ القلقشندى جـ ٥ ص ٣٣٢ ـ المقريزى ـ الإلمام ص ٣ حيث يذكر أنه كان يخضع لسيطرة الحطى تسعة وتسعون ملكًا وهو تمام المائة.

٦٤ ـ وردت هذه المدينة فى الإلمام ص ٢ باسم اخشرم.

٦٥ ـ سنلتزم كتابة Patriarch الإفرنجية على هذه الصورة احتذاء بابن خلدون، الذى عقد فى مقدمته فصلا عن «الباب البطرك فى الملة النصرانية» ص ١١٢.

٦٦ ـ Geddes, The Church Hist. OF Abyssinia, pp. 10 - 11.

٦٧ ـ Russel, Nubia and Abyssinia, p. 110.

٦٨ ـ Colbeau, Hist. Politique et Religieuse de l'Abyssinie, t 1 pp. 158 - 159.

٦٩ ـ ساوبرس ابن المقفع - تاريخ بطاركة الإسكندرية.

٧٠ ـ Geddes, op. cit, p p. 32 - 33.

٧١ ـ Coulbeau, op. cit. t 1 p. 213.

٧٢ ـ Alvarez, Portugeuse Embassy to Abyssinia, p. 161.

٧٣ ـ يذكر الدكتور محمد عوض أن المقصود بنهر مقدشو نهر جوبا أو طانة أو الزبيرى، ونرجح أنه نهر جوما؛ لأنه أقرب تلك الأنهار إلى مقدشو، أما نيل السودان أو غانة فهو النيجر. وكان أكثر جغرافيى العرب يظنون أن منابع النيجر هى نفس منابع النيل مع أن بطليموس قد أثبت أن للنيجر مخرجًا آخر غير تلك البحيرة. (نهر النيل ص ١٥).

٧٤ ـ عوض ـ نهر النيل ص ١٨ ـ ٢٣.

٧٥ ـ القلقشندى جـ ٥ ص ٣٣٤ ـ الإلمام ص ٢.

٧٦ ـ السلوك جـ ١ قسم ٣ ص ٥٠٦ حاشية رقم ٢.

٧٧ ـ Quatremere, Memoirtes, II, p. 16.

٧٨ ـ الطبرى ص ٢٥٩٥.

٧٩ ـ يوسف أحمد، الإسلام فى الحبشة ص ٢١ ـ ٢٣.

٨٠ ـ Sassand, L'Islam en Ethiopie, Revue - En Terre d' Islam Janv. Fev. 1936.

٨١ ـ العمرى ـ مسالك الأبصار ص ٨٩٣، القلقشندى صبح الأعشى جـ ٥ ص ٣٣٣ ـ ٢٢٣.

٨٢ ـ Sassand, L'Islam en Ethiopie.

٨٣ ـ المقريزى ـ الإلمام ص ٢.

٨٤ ـ ياقوت ـ معجم البلدان جـ ٢ ص ٩٦٦.

٨٥ ـ René Basset, Histoire de la Conquête de l'Abyssinie (xvI Siecle) (Introd. p. II)

وقد طبع هذا الكتاب فى باريس سنة ١٨٩٧. واستمرت المشاحنات زمنًا طويلاً حتى أيامنا، حيث جاء فى أهرام ٢٥ / ٧/ ١٩٤٤، ما يأتى : «وقع منذ أسابيع خلاف بين جلالة الإمبراطور هيلاسلاسى والسلطان محمد بابو سلطان الدناكلة بشأن دفع الجزية، فلما استدعاه الإمبراطور أبَى الحضور إلى العاصمة، فسيَّر إليه قوة كبيرة مسلحة استطاعت التغلب على حرسه والمجىء به إلى أديس أبابا، حيث توفى فى دنقلة. وكان أبناؤه قد علموا بما حدث فساروا فى ألوية كبيرة؛ لمقاومة الحملة التى وجهتها الحكومة، غير أن قائد الحملة تغلب عليهم وجاء بهم إلى العاصمة. وقد سمح لهم الإمبراطور بالسير فى جنازة أبيهم.